



لست أرضى الجاهلية...!

(093) سورة الضحى

خطبة جمعة

2025-04-25

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عني كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومقرع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليمًا كثيراً.

ما الجاهلية؟

وبعد أيها الإخوة الكرام:

ما الجاهلية؟ وهل هي فترة محددة، انتهت ببزوغ فجر الإسلام، أم هي ظاهرة يمكن أن تتكرر في أي زمان ومكان، كيف تحدث القرآن الكريم عن الجاهلية مُحدِّراً المسلمين، من أن يتصفوا بصفات الجاهليين.

بادئ ذي بدء، الجاهلية كما في الاصطلاح المعروف عندكم، هي الفترة الزمنية التي سبقت الإسلام، وساد فيها الطيش والبغي والظلم والقهر.

والجهل أيها الكرام: في لغتنا المعاصرة يُطلق على الشيء المُناقض للعلم، فيُقال فلان عالم، وضده فلان جاهل، ليس عنده معلومات، لكنه في لغة العرب، كان يُطلق أكثر ما يُطلق على الجهل الذي يناقض العلم، وليس العلم، فقد يكون الإنسان عالماً، لكنه في عرف القدماء جاهلي، لأنه لا يحلم ليس حليماً، يُقيم الدنيا ويُقعدّها لأجل أنه سب، فهو جاهلي، أي ليس حليماً، يطيش، يغلي من أجل أسباب تافهة، يقول لك سأكيل له الصاع عشرة أصوُّع، كلمني الكلمة سأردّها له مئة كلمة، لن أسمح لأحد أن يدوس لي على طرف، لا يحلم، يجهل، وهذا المعنى هو ما ذكره الشعر العربي، الذي يُستنبط منه معنى الجاهلية، هذا عمرو بن كلثوم يقول في قصيدته المشهورة:

وهذا الفرزدق يقول مادحاً قومه:

الجاهلية ليست مرحلة زمنية انقضت ببزوغ فجر الإسلام لكنها ظاهرة متكررة:

تحسبنا كأننا الجن إذا جهلنا، فهم لا يتعنون بالجهل عدم العلم، لكنهم يتعنون بالجهل عدم العلم، فقد كان عند العرب معارف، وكانوا فصحاء اللغة، وكانوا ينسجون من الشعر ما يعجز عنه اليوم فحولة الشعراء، وتُعدّ له الأسواق الأدبية، لكنهم كانوا جاهليين، يأخذهم الطيش والكبر والغرور.

من هنا أيها الكرام نستنتج: أن الجاهلية ليست مرحلة زمنية انقضت ببزوغ فجر الإسلام، لكنها ظاهرة متكررة تخرج كل حين بلبوس جديد، وما أشبه جاهلية القرن الواحد والعشرين، التي يعيشها العالم اليوم، بجاهلية ما قبل الإسلام، ما الذي كان في الجاهلية؟ أهل الجاهلية يُقيمون حرب الداحس والغبراء، من أجل ناقة قُتِلت، أهل الجاهلية يتعصبون لأقوامهم ولقبيلتهم ولعشيرتهم على حساب مبادئهم.

أنا مع قومي إن رشدوا ورشدت وإن ضلوا ضللت، هذا مبدأ الجاهليين، لكن على كل ما في العصر الجاهلي الأول، في الجاهلية الأولى، على كل ما فيها من مساوئ ولا تُقلل من مساوئها، كان عندهم من مكارم الأخلاق، ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ وَ فِي رِوَايَةٍ (صَالِح) الْأَخْلَاقِ }

(أخرجه أحمد والبيهقي والبرار)

وما قال لأُنشئ مكارم الأخلاق أو لأُحدثها، بل لأَتَمِّمَهَا، فالشجاعة عندهم أصبحت تهوُّراً، والكرم أصبح إسرافاً وتبذيراً، فلا بُدَّ أن تُرشد مكارم الأخلاق، لكنهم لم يكونوا بلا أخلاق، هذا أحد الكفَّار الجاهليين في ليلة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، اجتمعوا أمام داره، اقترح أحدهم أن يتسوّرا بيت النبي صلى الله عليه وسلم، أن يقفوا من فوق السور، فقال أبو جهل وهو أجهل الجهلاء، قال له: أتريد أن تقول العرب عثاً، أنّا تسوّرنا الحيطان وهتكنا ستر بنات محمد، صلى الله على سيدنا محمد، هذا الجاهلي أبي أن يتسوّر البيوت، لكن الجاهليين في القرن الواحد والعشرين، يُروّعون النساء والأطفال، ورأينا ما كان في بلدنا، ونرى اليوم ما يحصل في عِزَّة، من الجاهليين الذين تصغر أمامهم جاهلية قبل الإسلام، يتسوّرون البيوت، ويكسرون الأقفال، ويروّعون النساء، ويهتكون الأستار، ولا يقول أحد فيهم، لا من تُخبهم ولا من عامتهم، كيف نهتك ستر النساء.

ماذا كان في الجاهلية؟

ماذا كان في الجاهلية؟ هذا أبو سفيان قبل أن يُسلم، قال له هرقل لما ذهب إلى بلاد الروم، قال له عن محمد صلى الله عليه وسلم: <>، استحيا أن يكذب، وهو يواجه عدوًّا من أعدائه وقتها، لكنه لم يكذب، لكننا نجد من الجاهليين في القرن الواحد والعشرين، من يفترى على الآخرين الكذب، ويكتب المنشورات، ويتحدث ويُشيع الفاحشة، ولا يقول لولا الحياء أن يؤثّر عليّ لكذبت.

هذا زهير بن أبي أمية، لما حوِّص النبي صلى الله عليه وسلم في شعب أبي طالب، نهض بين قومه وقال: أأكل الطعام، ولبّس الثياب، وبنو هاشم هلكت لا يُباع ولا يُبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تُشفي هذه الصحيفة الطالمة، لكننا اليوم في جاهلية القرن الواحد والعشرين، تُحاصر عِزَّة منذ خمس وعشرين سنة، والآن منذ أشهر لا يدخل إليها طعام ولا شراب، وما نهض عاقل من الجاهليين، الذين يحملون الشهادات العليا، ممن يقدرّون على فعل شيء، ليقول أأكل الطعام، ولبّس الثياب، وأهل عِزَّة لا يأكلون ولا يشربون! هذا عنتره الصعلوك الفقير، يقول:

جاهلية القرن الواحد والعشرين:

لكن في جاهلية القرن الواحد والعشرين، تجد بعض الشباب يقفون أمام مدارس الفتيات، لُتمعنوا النظر، أو تجد في جاهلية القرن الواحد والعشرين، من يقف على شُرفة منزله، لُتمعن نظره بالغاديات والرائحات، ولا بغض طرفه إن بدت له جارتها، أنا لا أمدح الجاهلية، أنا أذمّها، لكن أريد أن أبين أن الجاهلية ليست فترة زمنية انقضت، ولكن في عصوي مُتأخرة، ظهرت الجاهلية أكثر مما كانت قبل الإسلام، عند بعض المسلمين والعياذ بالله.

كيف تحدث القرآن عن الجاهلية؟

أيّها الإخوة الكرام: كيف تحدث القرآن عن الجاهلية؟ القرآن الكريم ذكّر لفظ الجاهلية في أربعة مواضع، وأضافها إلى أربع كلمات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغِيثُ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۚ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۚ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۚ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۚ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَتَرَوُا الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهَمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۚ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154)

(سورة آل عمران)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ (50)

(سورة المائدة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (26)

هذا حديث القرآن عن الجاهلية.
أما (ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ) فإنه يؤدي إلى فساد التصورات، تصوّر غير صحيح، عقيدة غير سليمة (ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ).
وأما (أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ) فيؤدي إلى فساد الأحكام والأقضية، أن تحكم حكم الجاهلية.
وأما (تَبَرُّجُ الْجَاهِلِيَّةِ) فهو فساد النساء، وإذا فسدت المرأة فسد المجتمع كله.
أما (حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ) فهي فساد العلاقات وفساد المجتمع بعد ذلك.
أولاً ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ: قال تعالى: (تَطْلُتُونَ بِاللَّهِ عِزَّ الْحَقِّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ).
أيها الكرام: من عرف ربه عرف نفسه، ولن تعرف نفسك ولا الحياة معرفةً صحيحةً، إلا إن عرفنا خالقنا جلّ جلاله، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ يقولُ الله عزَّ وجلَّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظنَّ بي ما شاء }

أسوأ ظن يظنه الإنسان ويفسده تصوّره وعقله أن يظن بالله غير الحق ظن الجاهلية:

ما تظنه بالله، الله عند ظنك به، إن ظننت أنه يغفر فإنه يغفر وبرحم جلّ جلاله، وإن ظننت أنه سيحاسب فهو كذلك سيحاسب جلّ جلاله (أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظنَّ بي ما شاء) أسوأ ظن يظنه الإنسان ويفسده تصوّره وعقله، أن يظن بالله غير الحق ظن الجاهلية، لو كان الإنسان في أعلى منصب في الأرض، ولم يكن عنده تصوّر صحيح عن الخالق، فلن تصلح حياته، مستحيل، أعظم فرية، أعظم كذبة، أن يقول الإنسان على الله شيئاً لا يعلمه، ربما تنتهّب أن نقول شيئاً عن إنسان وهذا مطلوب، أن نغتابه، لكن ما أعظم فرية وكذب، أن يقول الإنسان على الله شيئاً لا يعلمه، لأنّ الله تعالى عندما ربّ المعاصي ترتيباً تصاعدياً، جعل في نهايتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ تَجْرٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (103)

من ظنَّ أنَّ الله يخذل أوليائه، فقد ظنَّ بالله ظنَّ الجاهلية، ولو ظنَّ أنَّ الله ينصر أعداءه على أوليائه، فقد ظنَّ بالله ظنَّ الجاهلية، الله تعالى قد يُقيم أعداءه، يقيمهم يجعل لهم قائمة، ليمتحن عباده المؤمنين، لكن معاذ الله أن يجعل لهم على المؤمنين سبيلاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ قَتْلٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ تَسْتَحِذُوا عَلَيْهِمْ وَتَمْتَعْتُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا بَلَىٰ بَلَّغْنَاكَ بَلَّتِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (141)

(سورة النساء)

فإن وجدت سطوة منهم، فاعلم أنَّ هناك إشكالاً عندك، لأنَّ وعد الله لا يتخلف، لكن لا نطن بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية، لا نطن أنه تخلى عنا، ولا عن أهلنا في غرَّة حاشاه جلَّ جلاله، ولكنه يتخذ من يشاء منهم شهداء، ويرفع من يشاء منهم إلى أعلى الدرجات، ويكفر عن ما شاء منهم من أعظم الخطيئات، ويمتحن بهم عباده، ويمتحن بهم من حولهم، ويمتحن الأمة كلها بهم، ثم يُظهر الله آياته، **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَقْوِي أَعْدَاءَهُ أَجْبَارًا، حَتَّى يَقُولَ ضَعُافُ الْإِيمَانِ، أَيْنَ اللَّهُ؟ ثُمَّ يُظْهِرُ آيَاتِهِ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا، حَتَّى يَقُولَ الْكَفَّارُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، سُبُّهُ اللَّهُ مَاضِيَةٌ، لَكِنَّ اللَّهَ لَا يَخْذُلُ أَوْلِيَائِهِ وَلَا يَنْصُرُ أَعْدَاءَهُ، حَاشَاهُ جَلَّ جلاله،** من ظنَّ أنَّ الله ينصر أعداءه على أوليائه، فقد ظنَّ بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية معاذ الله.

قد يُملي لهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45)

(سورة القلم)

يعطيهم فرصة، يُطوِّل لهم الحبل، حتى يظنَّ ضعافُ الإيمان أنَّ هؤلاء يتحركون وحدهم، يقول لك اليهود يحكمون العالم، لا أحد يحكم العالم إلا الله جلَّ جلال الله، ضرب الله مثلاً في هذه الآية عن هذا الموضوع قال: **(يَطَّوِّتُونَ بِاللَّهِ عِزَّ الْحَقِّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ ۚ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۚ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۚ)**.
سفينة عملاقة تمخر عباب البحر، تتوجه من الشرق إلى الغرب، قام أحقق على ظهر السفينة وقال: سأخالف السفينة وسأمضي من الغرب إلى الشرق، لكنك أيتها الأحقق - حاشاكم - على ظهر السفينة، تحرك كيف ما شئت، لكن السفينة ماضية في الاتجاه الذي يحركها ربان السفينة، أنت تحرك لكنك فوقها.
يوم كُتِّ صغاراً قبل وسائل الإعلام الحديثة، كان مسرح العرائس، لَمَّا يذهب إليه الأطفال، يظن الأطفال لجهلهم أنَّ العرائس تتحرك وحدها، لكن الكبار يعلمون أن هناك من يُصنِّع بها ويحركها، يظن ضعافُ الإيمان، أنَّ الكون يتحرك وحده، وأنَّ أعداءنا يفعلون ما يحلو لهم وحدهم، لكن المؤمنين حقاً، يعلمون أنَّ الله عزَّ وجلَّ هو الذي يُحرِّك الكون كله، بحكمته ويمشيئته.

من ظنَّ أنَّ الله أجبر عباده على المعصية فقد ظنَّ بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية:

أيتها الإخوة: من ظنَّ أنَّ الله أجبر عباده على المعصية، فقد ظنَّ بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية، الله لا يجبر على المعصية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا قَعَلُوا قَاجِسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آتَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۚ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28)

(سورة الأعراف)

تقول له صلِّ، يقول لك حتى يأذن الله، لم يأذن لك الله أن تُصلِّي حتى الآن؟! من ادَّعى أنَّ الله أجبره على ترك طاعة، أو فعل معصية، فقد ظنَّ بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية، من ظنَّ أنَّ الله يكافئ في الدنيا ويعاقب في الدنيا فحسب، وكأنَّ الدنيا منتهى الآمال ومحط الرجال، فقد ظنَّ بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية، الحساب يوم القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ فَمَنْ رُخِّصَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ ۖ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ
الْعُزُورِ (185)

(سورة آل عمران)

(وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

فساد التصوُّر يؤدِّي إلى فساد العمل:

أيُّها الإخوة الأحباب: فساد التصوُّر يؤدِّي إلى فساد العمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1)

(سورة الماعون)

هذا فساد التصوُّر، يظن أنه ليس هناك منهج، ولا دين، ولا يوم قيامة، ما النتيجة؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ لِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)

(سورة الماعون)

التصوُّر، ظن الجاهلية يؤدِّي إلى فساد في السلوك.

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَديقَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ خَيْرًا، أَوْ لِيَسْكُنْ }

(أخرجه البخاري)

هذا تصوُّرٌ صحيح (فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ) هذا السلوك، فدانماً السلوكات تأتي من التصوُّرات.

ثانياً حكم الجاهلية: قال تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْعُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)

(سورة النساء)

من يحتكم إلى الأقضية الأرضية ويأخذ شيئاً ليس حقاً له فقد حُكِمَ الجاهلية:

امراً في الغرب، مثلنا خرجت من بلاد الشام في هذه السنوات العجاف، خرجت إلى الغرب، يتصل بي أحد أقرانها، مُصرّة على أن تأخذ نصف أملاك زوجها وفق القانون الأمريكي، وهي تعلم أن حكم الله يقول لها لك المهر، لكن تقول نحتكم إلى القانون، امرأة مسلمة، رجل مُسلم يُصلي في المساجد، تقول له هذا ليس حقاً لك، يقول لك: بيني وبينك المحاكم، ما دام الحق ليس لي المحاكم تأخذه لي (أَفْخَكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ)

من يحتكم إلى الأقضية الأرضية التي تخالف شريعة الله، ويأخذ شيئاً ليس حقاً له بحكم القانون، فقد حُكِمَ الجاهلية (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ) اليوم موجة متكررة على وسائل الإعلام من الاجترار على أحكام الله تعالى، يوم أمس، عالم ازهرى يخرج ليقول: نريد أن نُجري استفتاءً على أحكام الميراث، الميراث التي قررها الله في كتابه بنصوص محكمة، يريد أن يستفتي عليها الناس! كيف يريد الأب أن يورث الميراث، نتركه له، اجترأ على أحكام الله تعالى، طعن في الأحكام التي جعلها الله تعالى للمرأة في الحجاب، هذا يحدث اليوم بوسائل الإعلام (أَفْخَكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ).

الثالث تَبْرُجَ الجاهلية: قال تعالى مخاطباً نساء النبي صلى الله عليه وسلم، ومخاطباً نساء المؤمنين من بعدهن إلى يوم القيامة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33)

(سورة الأحزاب)

جاهلي ما قبل الإسلام لو رأوا تَبْرُجَ النساء في زماننا لقالوا نحن مؤمنون:

أي هناك جاهلية ثانية، والله إنَّ جاهلي ما قبل الإسلام، لو رأوا تَبْرُجَ النساء في زماننا، لقالوا نحن مؤمنون، لو نظروا إلى الشاشة التي تخرج عليها النساء، لظنوا بأنفسهم الخير، لو رأوا بعض النساء المحجبات اللواتي يتسابقن لالتقاط الصور، مع بعض المنحرفين والمنحرفات، لتخطى الواحدة منهن بصورة، أمام فلان من الصالحين والصالحات، لقالوا في أنفسهم نحن لسنا جاهليين هؤلاء هم الجاهليون.

الحمية هي الأنفة التي تمنع الإنسان من قبول الحق:

والرابع حمية الجاهلية: قال تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ) ما هي الحمية؟ هي الأنفة التي تمنع الإنسان من قبول الحق، تقول له: قال الله وقال رسول الله، يقول لك: نحن اليوم بعصر جديد، يحتاج إلى أشياء أخرى، يأتي أن يتبع قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، الأنفة، ما الذي منع أبا طالب، وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وناصره وأبده ووقف معه، ما الذي منعه في اللحظات الأخيرة أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: "وتعبرني بنو عبد المطلب يقولون إنما أسلم خوفاً من الموت"، الأنفة حمية الجاهلية، كثير من المشركين لم يكونوا يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم، يعلمون أنه مُحَقِّق، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ تَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۚ فَإِنَّهُمْ لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُمْ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِخَدُوعٍ (33)

(سورة الأنعام)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَفْتَيْتَهَا أَنْفُسَهُمْ ۖ فَلَمَّا عُلِّقُوا قَانِطِرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)

(سورة النمل)

يعلم الحق لكنه يأبى أن يتبعه، أعرف عائلته كانت في الشام، لكن قديمة، أعرفها تماماً، منع رب الأسرة أي بنت من بناته، أو كتيه من كئنه، أن تتحجب، لأنَّ الوضع الاجتماعي له في البلد، والمكانة والعلاقات مع المسؤولين، لا تسمح أن يكون في بيته محجبة، ويصلي في المساجد!! حمية الجاهلية، العشيرة، القبيلة، الطائفة، أنا من بني فلان، لا أسمع، من أنت؟! إذا كان حكم الله يقول لك افعَل.

{ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارٍ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ قَالَ: فَسَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: **دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ**، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُبَيٍّ سَلُولِي: قَدْ فَعَلُوها لِيُنْزِلَ رَجْعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبَ عُتُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ: دَعْنِي لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ }

(أخرجه البخاري ومسلم وابن حبان)

رائحتها سيئة، تقول يا قومي يا عشيرتي، أنا من قوم فلان، حتى يتكلم معي، أنا من الطبقة الارستقراطية (**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ**).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)

(سورة الحجرات)

{ **لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَبْيَضٍ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَبْيَضَ: إِلَّا بِالْعَقْوَى، النَّاسُ مِنْ**
آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ }

(الألباني شرح الطحاوية)

أئها الكرام:

فساد التصوّر يأتي من ظن الجاهلية، وفساد الأحكام يأتي من حكم الجاهلية، وفساد النساء يأتي من تبرُّج الجاهلية، وفساد العلاقات ثم فساد المجتمعات يأتي من حماية الجاهلية. أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه ويا فوز المستغفرين.
الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.
اللهم برحمتك غمّنا، واكفنا اللهم شرّ ما أهّنا وأغمّنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توقّنا، لنفاك وأنت راضٍ عبّنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنّنا كلّنا من الظالمين، وأنت أرحم الراحمين.
وارزقنا اللهم حُسن الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلّقاك وأنت راضٍ عبّنا، أنت حسبنا عليك اتكالنا.
اللهم أهلكنا في غرّة، كُنْ لهم عوناً ومعيناً وناصرأً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.
اللهم إنهم قد تخلّو عنهم القريب والبعيد، وحاشاك أن تتخلّى عنهم، فأنت ربنا وربهم، نسألك يا أرحم الراحمين أن تُعجّل بالفرج عنهم، وأن تُعجّل بهلاك عدوهم.
اللهم إنّ أعداءنا يقولون من أشدّ مثا قوة، وقد غاب عنهم أنك أشدّ منهم قوة، فإنّا نسألك يا الله أن تأخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر.
اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رُشيد، يُعزّ فيه أهل طاعتك، ويهدى فيه أهل عصيانك، ويؤمّر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر.
اللهم اجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً مطمئناً، ووفّق القائمين عليه للعمل بكتابك ولما فيه مرضاتك، إنك وليّ ذلك والقادر عليه، أستغفر الله، والحمد لله رب العالمين.